

نبذة عن السينما والمسرح في ارتريا



بقلم: قاسم أحمد

تاريخ السينما الارترية تاريخ عريق وزاخر بالأحداث وبنوع خاص ، تعاقبت على ارتريا حضارات وجيوش وشعوب ومنها العرب والأتراك والبرتغاليون والايطاليون والبريطانيون وغيرهم وان كان اكثرها تشبها بتلك الأرض الايطاليون الذين اعتبروها جزءا أصيلا من بلادهم بين 1890 و 1941 وجعلوا لها مكانة خاصة بعدما شدهم مناخها الساحر ، فميزوها حتى على الجزء الباقي من مستعمراتهم الافريقية ، لاسيما في الصومال وليبيا.

بدأت السينما الارترية منذ العهد الايطالي الذين عشقوا البلاد الى حد

انهم أرادوا ان تكون فيها لعاصمتهم أبنية تشبهها بمبانيها وشوارعها
واسماء جاداتها ومعالمها وعاداتها وتقاليدها .

قام الايطاليون منذ ان وطأت أقدامهم ارض ارتريا الطيبة ، ببناء عدة
مباني من الطراز الاول خاصة في العاصمة اسمرة التي تقع علي
ارتفاع يفوق الالفين متر عن سطح البحر. ، مما يكسبها مناخا معتدلا ،
حيث بنيت قبل نحو سبعة قرون تقريبا، الا انها لم تكتسب الأهمية الا
بعد الاحتلال الايطالي في اواخر القرن التاسع عشر حين جعلوها
عاصمة لإحدى مقاطعاتهم، حتى اخذت طابعا ايطالياً اوروبياً في
العمارة والتخطيط، وعرفت باسم روما الصغيرة، وانتشرت بها
القصور والكنائس والمسارح ومباني الدولة المختلفة الانيقة.

انتشرت عمارة الأرت ديكو الانيقة والبسيطة في آن معا ،حيث بنيت
العديد من المباني على هذا الطراز لعل اشهرها دور السينما .
ان دور السينما الذي نريد ان نسلط عليه الضوء عزيزي القارئ يبدأ
من هذه الحقبة الايطالية ،وبالتحديد في الثلاثينيات من القرن الماضي،
حيث بنى الايطاليون في البلاد عامة وخاصة في العاصمة اسمرا دور
سينما ومسارح بشكل معماري من الطراز الاول، ذات الطابع
الأوربي اشهرها مسرح او سينما اسمرا وسينما روما وابميرو
واوديون وكابتول وغيرها من المسارح ودور السينما.

فالسینما التي انطلقت في البداية الأولى على أساس اختراع التصوير
الضوئي، هي صناعة التصوير المتحرك وعرضه للجمهور عبر
شاشات كبيرة في دور العرض، أو على شاشات أصغر كالتلفاز

والحواسب، وان دور السينما في ارتريا زاخرة منذ ان استهلكت
نشاطاتها في العهد الايطالي.

كما يعتبر الفن السينمائي وتوابعه من إخراج وتمثيل واحد من أكثر
أنواع الفن شعبية، ويسميه البعض الفن السابع مشيرين بذلك لاستخدام
فن الصوت والصورة معاً من أجل إعادة بناء الأحداث على شريط
خلوي، حيث توجد هناك أنواع من الفن السينمائي، فمنها ما هو اقرب
للمسرح، ويشمل أفلام الحركة والدراما وغيرها من الأفلام التي
تصور أحداثاً خيالية، أو تعيد أحداث حدثت بالفعل في الماضي،
تعيدها عن طريق التقليد بأشخاص مختلفين وظروف مصطنعة، اذ ان
السينما الارترية كانت ولا زالت حاضرة في تقديم اروع الافلام بكل
انواعها، خاصة دور السينما في العاصمة اسمرة ، حيث تعرض
يومياً افلام اجنبية مثل الافلام الصينية والهندية والغربية ، بينما
تعرض يومي السبت والاحد في ثلاثة فترات او اكثر الافلام الارترية
التي تتطرق الى الواقع الارتري الحالي والماضي، وعادة تتحدث
عن احداث الثورة الارترية والخلفية التاريخية الارترية. فهي بالفعل
افلام رائعة جداً، وخطا المؤلفون الارتريون خطوة الى الامام في هذا
المجال، فكم من تلك الافلام وصلت الى درجة الفوز بالجوائز المحلية
والعالمية، وهذا دليل واضح على براعة المبدعين الارتريين ،خاصة
الشباب. ولن تكتفي العروض التي تقدم في دور السينما الارترية، بل
هناك عزيزي القارئ نشاطات ثقافية متعددة تعرض فيها على مدار
العام مثل الاغاني الجميلة والكوميديا الرائعة والمسرحيات الأخاذة
جلها من انتاج المبدعين الارتريين، منهم المخضرمين ومنهم الشباب

بكل اللغات الوطنية، خاصة في المناسبات الوطنية مثل اعياد الاستقلال ويوم الشهداء والفاتح من سبتمبر ذكرى انطلاقة الشرارة الاولى للكفاح المسلح ، بالإضافة الى نشاطات افتتاح المهرجان الوطني الثقافي وغيرها من المناسبات الوطنية التي تعرض اروع العروض الثقافية بمختلف محتوياتها.

هناك ايضا الفن السينمائي الوثائقي، الذي يحاول إيصال حقائق ووقائع تحدث بالفعل، بشكل يهدف إلى جذب المشاهد، أو إيصال فكرة أو معلومة بشكل واضح وسلس أو مثير للإعجاب، حيث ان الافلام الوثائقية الارتيرية حافلة وزاخرة ،باعتبار البلاد دفعت كل غال ونفيس لنيل الحرية من الانظمة الاستعمارية المتعاقبة .هذه المراحل كلها موثقة وتعرض تدريجيا للجمهور سواء في دور السينما او التلفاز واجهزة الكمبيوتر وغيرها من وسائل اىصال المعلومة الى الجمهور مثل الفلاش والسديوهات. كما ان المبدعين الارتيريين يمتلكون الكثير من المعلومات حول هذا المجال الفني.

وماذا عن المسرح...

أما اذا تحدثنا عن المسرحيات التي تعرض في المسرح كثيرة لا تحصى ولا تعد ومتنوعة، كالمسرحيات الموسيقية سواء كانت طويلة ام قصيرة، خيالية ام واقعية، او تجمع بين الاثنين، الا ان الغرض الاساسي منها التسلية وايصال الرسالة الى المشاهد، حيث يبذل المؤلف والمخرج جهوداً جبارة وعمل شاق، بداية من اختيار الممثل في الدور المناسب له ،وحتى تعرض المسرحية على الجمهور بشكل

رائع وجذاب. كما ان الممثل عندما يقدم له المؤلف دور ما يحاول بقدر الامكان تقمصه ، وهنا تتفاوت مقدرات وامكانيات الممثلين، مما يلعب دوراً هاماً في اخراج المسرحيات جميلة وجذابة.

ولا يمكن فصل المسرحية من المسرح الذي يعتبر شكل من اشكال الفنون يؤدي امام المشاهدين ، يشمل كل أنواع التسلية من السيرك إلى المسرحيات، و هناك تعريف تقليدي للمسرح هو أنه شكل من أشكال الفن يترجم فيه الممثلون نصا مكتوباً إلى عرض تمثيلي على خشبة المسرح. يقوم الممثلون عادة بمساعدة المخرج على ترجمة شخصيات و مواقف النص التي ابتدعها المؤلف، وعادة ما يكون الحدث المسرحي الناجح عملاً مشوقاً لكل من المشاهد و الممثل و الفنان، بغض النظر عن مكان عرضها، سواء أكان مسرحاً محترفاً أو مسرحاً مدرسياً أو مجرد مساحة أقيمت مؤقتاً لهذا الغرض مثل المسرح المتحرك الذي نشاهده في مختلف الاماكن والمناسبات، كما يحدث في بداية السنة الجديدة بميدان الفاتح من سبتمبر، ومسرح اعياد الاستقلال المنتشر في جنبات شارع الحرية، و تندرج تلك العروض من التسلية الخفيفة مثل العروض الموسيقية و الكوميديا للحاضرين، إلى تلك التي تبحث في مواضيع سياسية و فلسفية جادة وغيرها.

وليس المسرح كالمسرحية بالرغم من أن الكلمتين تستخدمان عادة و كأنهما تحملان المعنى نفسه ، ذلك لأن المسرحية تشير إلى الجانب الأدبي من العرض ، أي النص ذاته، وعلاقة المسرح بالمسرحية علاقة العام بالخاص، أو بمعنى آخر، المسرح شكل فني عام ، أحد

موضوعاته أو عناصره النص الأدبي أي المسرحية، ويعتقد بعض النقاد أن النص لا يصبح مسرحية إلا بعد تقديمه على خشبة المسرح و أمام الجمهور. ويقول آخرون، إن النص ليس سوى مخطط يستخدمه المخرج و الفنانون الآخرون كأساس للعرض.

و العرض المسرحي من أكثر الفنون تعقيدا لأنه يتطلب العديد من الفنانين لأدائه، و من بين هؤلاء المتخصصين، المؤلف و الممثلون و المخرج و مصممو الديكور و الأزياء و الإضاءة و مختلف أنواع الفنانين، كما يتطلب بعض العروض الأخرى مصممي رقصات و موسيقيين و ملحنين، و يسمى المسرح أحيانا الفن المختلط، لأنه يجمع بين النص و الجو الذي يبتكره مصممو الديكور و الإلقاء و الحركات التي يقوم بها الممثلون.

كان الكاتب المسرحي في عهد المسرح الأول يقوم بجميع الأعمال الفنية، مثل كتابة النص و التمثيل و الإخراج ، و بالتدريج أصبح هناك مختصون ، و برزت فنون المسرح العديدة ، و اكتسب كل من الممثل و كاتب النص شهرة في البداية بسبب أن الواحد منهما يعتمد على الآخر في إخراج فنهما إلى حيز الوجود.

و في المسرح الحديث اعتاد المخرج على موازنة جميع خصائص العرض ،من تصميم الديكور إلى تصميم الأزياء و الإضاءة و المؤثرات الصوتية و الموسيقية و الرقص ، وربما كان أهم عمل للمخرج هو قيادة الممثلين في عملية ابداعهم ، و مساعدتهم على أداء أدوارهم بشكل جيد.

عزيزي القارئ أنتجت السينما الارترية منذ نشأتها لغتها الخاصة بها، وقواعدها، وأساليبها، وتعتبر اللقطات، والمشاهد، وحركات الكاميرا، والعدسات، والمونتاج المعادل السينمائي للكلمات، والجمل، والفقرات، وعلامات الترقيم وغيرها، حيث تحتوي السينما الارترية على كثير من النشاطات الفنية السينمائية، مثل عرض مسرحيات كوميدية، بالإضافة الى الافلام بشتى انواعها وغيرها من الاعمال الثقافية التي تعرض في دور السينما الارترية العريقة.

تحتاج تلك النشاطات الفنية التي تعرض في المسرح ودور السينما الى منتجات متنوعة منسقة ، حيث يتطلب عرض مشهد ما في دور السينما عدة عوامل ،كالموسيقى التصويرية والمونتاج والتوليف السينمائي والتمثيل والايخراج وغيرها من الاعمال الفنية الرائعة والجميلة. فبدون التنسيق بين هذه العناصر الاساسية لعرض الافلام ايا كانت نوعيتها في دور السينما والمسرح يكون العمل ناقصاً او غير مجد، لذلك توافرت هذه العناصر لتكمل العرض السينمائي.

كما شهدت السينما الارترية طفرة نوعية وتطوراً ملحوظاً منذ ان باشرت عرض نشاطاتها الفنية في العهد الايطالي في ثلاثينيات القرن الماضي، خاصة بعد تحرير البلاد في شهر مايو الاغر عام 1991م، ومنذ تلك الفترة استطاعت ان تقدم معارض فنية رائعة ،بذل فيها جهود منسقة من تأليف وتمثيل وفنيات متعددة كالتصوير والايخراج والتنسيق الموسيقي وغيرها من الفنيات، وقد تتطلب هذه العناصر الفنية درجة عالية من التواصل والتعاون بين أفراد فريق العمل.

فالفنانون الارتريون تفوقوا في هذا المجال مقارنة بخبراتهم وامكانياتهم المتواضعة، تدرجوا في سلم التطور حتى استطاعوا السطوع في سماء

السينما العالمية من ابوابها الواسعة، ليعرضوا منتجاتهم الفنية في المحافل الدولية، حيث انتشرت الأغنية الارتيرية بشكل واسع الى معظم دول العالم خاصة دول الجوار. وان انتشار الافلام والمسلسلات اقليميا وعالميا ايضا ليس اقل بكثير من انتشار الاغنية، وذلك بفضل اكتساب المخرج الارتيري خبرات وتجارب ثرة، واستيعابه مفاهيم وتقنيات سينمائية، من وظيفة ودلالة معينة مكنته من توصيل ما يريد به بدقة وبأسلوب يفهمه المتفرج دون لبس، متفهما القواعد اللغوية الخاصة بالإخراج السينمائي، وطرق استخدامه تفهماً جيداً.

أما ابداع الفنان الارتيري فيما يخص اسلوب استخدام الموسيقى التصويرية التي تعتبر المعادل المسموع للمشهد السينمائي او المسرحي في صناعة الفيلم السينمائي أو المسرحية، ويتمتع بقدرات عالية منذ فجر ظهور ادوار السينما في البلاد، متدرجا على سلم تطور الموسيقى التصويرية حتى صار منتجا كفوئاً، وخاصة الموسيقى وعزف البيانو بما يتناسب مع المشاهد المختلفة.

واهتم المنتجون المبدعون من الارتيريين بالموسيقى التصويرية، ادراكا لما تضيفه بعداً آخر للمشهد بإشراك الأذن حاسة السمع في الاندماج في المشهد وليس حاسة البصر فقط، فهي تشكل الخلفية للمشهد و تصف المشاعر، فإذا كان المشهد سعيداً، تجد أن الموسيقى التصويرية تتسم بالبهجة لتكون المعادل المسموع للمشهد ولإيصاله للمشاهد بشكل أفضل، والعكس صحيح بالنسبة للمشاهد الحزينة، وينطبق نفس المبدأ على المشاهد الحماسية.

كما يتعامل المنتج الارتيري المبدع عند منتجة العمل السينمائي بشكل جيد وممتع، باعتبار ان المونتاج يخلق المنفعة المادية او المعنوية، كونه من أهم عناصر عرض مشهد ما في دور السينما ويحتوي على قدر معين منها، وعوامله هي الأرض والعمل والتنظيم ورأس المال.

أما اذا نظرنا الى امكانيات وقدرات المبدعين الارتيريين فيما يتعلق في فن اختيار وترتيب المشاهد وطولها الزمني على الشاشة، وتحويلها إلى رسالة

محددة المعنى، مستندين في عملهم إلى خبرتهم وحسهم الفني وثقافتهم العامة، وقدرتهم على إعادة إنتاج مشاهد تبدو مألوفة لكنها، بالقص واللصق وإعادة الترتيب والتوقيت الزمني للأحداث، تتحول إلى دراما ذات خطاب متعمد موجه إلى الجمهور، ومع الطفرة التقنية التي تتسارع وتيرتها يوماً بعد يوم، برز دور المخرج والكاتب السينمائي الارتري في تقديم عمل درامي رائع وممتع.

وابدع الفنانون الارتريون في ما يخص التوليف السينمائي، الذي يعتبر الركيزة الأساسية لإنتاج سينمائي، وهو باختصار إعادة ترتيب اللقطات التي تم تصويرها في وقت سابق، وإزالة المشاهد والزوائد غير الضرورية، وإضافة المؤثرات الخاصة بواسطة أجهزة متعددة ومهمة في تسيير الإنتاج الفني، لكن براعة الفنان الارتري ومواكبته للتطور التكنولوجي استبدل تلك الأجهزة بالعديد من برامج الكمبيوتر التي تقوم بهذا العمل الفني العريق.

ان من أهم مهام العروض التي تقدم في دور السينما الارترية سواء كانت محلية او اجنبية، تتطلب عناصر متعددة لتكون عروضاً ناجحة وممتعة، من بينها عنصر التصوير الضوئي لإنتاج صور ومنظر بوساطة تأثيرات ضوئية، فالأشعة المنعكسة من المنظر تكوّن خيالاً داخل مادة حساسة للضوء، ثم تعالج هذه المادة بعد ذلك لتنتج عنها صورة تمثل المنظر.

وهناك أيضاً عنصر آخر ابداع فيه الفنان الارتري رغم امكانياته المتواضعة يؤدي في المسرح، وله اهمية كبيرة وهو التمثيل الذي يعتبر مرآة للمجتمع، لما له من دور هام في تعليم الناس وتبصيرهم بحياتهم بشكل يتقبلونه من خلال قصة من الحياة اليومية، وعلى الرغم من الهدف الرئيسي لفن التمثيل هو الترفيه بالمقام الأول، إلا أن له أهداف أخرى منها إعادة تمثيل التاريخ وتبسيطه للمشاهدين بشكل مناسب، حيث يتمتع الممثل المبدع بالجاذبية

الطبيعية حتى يصدقها الناس، ويتقمص الشخصيات على اختلافها متمتعا بالمرونة الجسدية والقدرة على تخيل المكان، والتماهي مع مفهوم منظور الشخصية ومنظور الدور.

إن دور السينما الارترية المنتشرة في مدن البلاد الكبرى وخاصة العاصمة اسمرأ، تشهد عرض مشاهد ضخمة محلية منها واجنبية، تلعب دوراً كبيراً في تثقيف المجتمع ورفع وعيه ومعرفته سياسيا وثقافيا واجتماعيا لا سيما اقتصاديا، وذلك بفضل الجهود التي تبذل في صناعة عروض سينمائية ضخمة لأبرز نجوم وفناني العروض السينمائية الذي تتميز به المسارح والسينما الارترية من طابع أكثر تنظيما.

ورغم عدم وجود معاهد وأكاديميات في مجال الفن عامة والتمثيل خاصة، لتعليم أساسيات فن التمثيل وصقل المواهب، وراغبى الانخراط في العمل الفني بشكل أكاديمي منظم معترف به بشهادات رسمية معتمدة، بالإضافة الى نقابات واتحادات وروابط الممثلين التي تلعب دورها البارز في الحفاظ على حقوق الممثلين المبدعين، تدعم من يحال إلى الابتعاد عن مجال الفن بأي شكل كان من الاسباب، وتحل الاشكاليات والنزاعات التي تحدث بين العاملين في صناعة السينما أو المسرح وبين الأطراف الأخرى، حتى لا تضيع حقوقهم، إلا ان الممثلين الارتريين خطوا خطوات جيدة، تمثلت في عكس التقاليد والتراث والثقافة الوطنية بشتى انواعها ومختلف ابعادها، بالإضافة الى انتاج عروض سينمائية راقية ومتحضرة، منطلقين من العملية الابداعية الهامة كحرفة الحس الفني، واحترافهم للمهنة ومعرفتهم بما هو مناسب وما هو غير ذلك، فضلا عن تمتعهم بمهارات صناعة السينما، فنجد أن عملية الإخراج لا تتحقق إلا عبر عملية تقنية دون ان يعوق العملية الإبداعية.

